

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

البلاغة الأدبية بين الإقناع والانفعال

Literary rhetoric between persuasion and emotion

محمد بلعباسي. 1Belabassi Mohammed، ربيحة عداد. 2Addad Rabiha

1 جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية الآداب والفنون، قسم الأدب العربي، مخبر اللغة الوظيفية

Professor, Lecturer A, Hassiba Ben Bouali University of Chlef, Faculty of Arts and Letters,
Department of Arabic Literature, Functional Language Laboratory

M.belabassi@univ-chlef.dz

2 جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب،

Ph.D., Hassiba Ben Bouali University of Chlef, Faculty of Arts and Letters, Department of
Arabic Language, Language Teaching and Discourse Analysis Laboratory,

r.addad@univ-chlef.dz

المؤلف المرسل: محمد بلعباسي. M.belabassi@univ-chlef.dz : Belabassi Mohammed

تاريخ القبول : 2022-03-27

تاريخ الاستلام: 2021-11-26

الملخص:

لعله بات راسخا في الاعتبار النظرية أن إبداع الفنون عامة والشعر خاصة لا يخضع لمنهج تراتبي معين مضبوط يمكن من خلاله فهم الرؤية والأداة الناجعتين في سبيل الإلمام بخبر الطريقة الواجب اتباعها من أجل حياة مواصفات النجاح والتفوق في ذلك المضمار ، فلدى مطالعة أي أثر شعري يتبادر من الوهلة الأولى إلى أذهاننا أن لا ضابط لاعتمالات الانفعالات والهواجس، حيث يظهر أن تلك التحوّلات البنائية في سياق الخطاب الشعري صلة بنشاط المحقّرات المتنوعة وعليه، وعليه كيف تتم نسوج البلاغة الأدبية بين الإقناع والانفعال؟
الكلمات المفتاحية: البلاغة/ الانفعال/ التخيل/ الإقناع/ الشعر/ البنية/ القصيدة/ التركيب.

Abstract:

Perhaps it has become firmly established in theoretical considerations that the creativity of arts in general and poetry in particular is not subject to a specific hierarchical approach through which it is possible to understand the effective vision and tool in order to know the news of the method to be followed in order to possess the specifications of success and excellence in that field. The first, to our minds, is that there is no control over the interactions of emotions and obsessions, as it appears that these structural transformations in the context of poetic discourse are related to the activity of various stimuli, and accordingly, how is the weaving of literary rhetoric between persuasion and emotion?

Keywords: Rhetoric/ emotion/ imagination/ persuasion/ poetry/ structure/ poem/ structure.

مقدمة:

يبدو للمتفكر أن البنية البلاغية تركز في جوهرها على طبيعة التوزيع اللغوي للألفاظ التي تشكّل الدلالات والمعاني في الشفوي والكتابي ، فالشفوية يهمل فيها توزيع اللغة لأنها لا تجسّد خارطة الخطاب بصفة رسمية ، ولعلّ هذا المغزى هو الذي أشار إليه البلاغيون العرب ، القدامى حين ربطوا بين طبيعة توزيع اللغة على آلية الفصل والوصل فالبلاغة عندهم هي "... معرفة الفصل من الوصل" ¹ فالتواصل أو التقطّع أو الاسترسال أو التقاسيم كلّها أدوات بنائية بلاغية تشكيلية تستمدّ سلطتها الأدبية من خبرة الدّات المبدعة في توظيف الانفعالات النفسية في تشكيل أيقونة الخطاب الأدبي ، وقد يكون الشعر أكثر جرأة على استيعاب هذه الدلالات التشكيلية .

تنحو القصائد في ديوان الشاعر الواحد أو الشعراء المبدعين أجمعين تبديلها الدلالي التنويعي غير محكوم بنسق لا يستند إلى المبررات المنطقية، وعلى أتم تقدير فإنّ توالي القصائد على امتداد شاعر ما هي مشكلة لتوالي أبيات الشعر أو سطورها في القصيدة الواحدة، وهي أي: القصائد وإن توزّع تواليها ملء التجربة الشعرية كاملة إلا أنها لا تعدّ أن تردّ آخر قصيدة من تلك التجربة إلى التواصل مع أيّ هاجس تنويعي في قصيدة أخرى خارج خطابها، فلذلك لاعم أن يتشظّل تأليف الخطاب الشعري إلى هذه الاعتبارات النسقية.

في منتهى تبدّنها (.. أصل الكلام العربيّ ، وسجيّته ، وروحه ، وطبيعته).³

يفضي بنا تعمّق هذا المؤدّى إلى اعتماد تلك القطيعة التي يستوجها تباين الشّعْر مع النثر، فكلّ ما هو مذموم متبرّم منه في تركيب النثر لا تلقى، مستحبّ في تركيب الدلالة الشعريّة ، حتّى كأنّ الشّعْر مجانس لكلّ صيغة لغوية لا يهتدي النّحو إلى إصلاحها وضبط آلية تراتب بنيتها المعجمية ، لأنّ الإغراب في التّرتيب يعنى الإغراب في طريقه ، ويضلّ في تعريفه.⁴

تستمدّ الشعرية أوثق مقوماتها من بلاغة الإخبار والحكي والقصّ ، وإن نكتة الالتذاذ البلاغي في الأفعال الثلاثة وارد من جهة كون الذات البشرية مولعة بتلقي الحديث لذلك ، ونظرا لتمكّنها من القيم الشعرية فقد أورد كل من ابن جني وأبو حيان التوحيدي ما يعزز الرأي الذي افترضناه.

يمكن لفني الحكي أو الإخبار أن يكونا متضمنين الكثير من القيم التشعرية والاعتبار في هذا الحكم هو أن النفس البشرية مجبولة على الاستئناس بأساليب السرد اللغوي لما فيه من التّغيير⁵ بمعنى الإحالة على الأزمان الغابرة ، والتّغيير هذا طبيعة غنائية تنجع كثيرا في التوقيعات الشعرية تبعا لما تزدان به من أصناف المبالغات والتخييلات والإحالات على المعاني الأسطورية.

يستمد الكلام أساليبه التأثيرية انطلاقا من الكيفيات التعبيرية التي يرتئها الحسّ ويقدرها الطبع ، لأنّ مصدر النّزوع البنائي أو التشكيلي يرتكز في جوهره على مدى تمتّع الذات المبدعة بالحسّ الصافي للمرجعيات الانفعالية التي تتسرب عبرها التجارب الشعريّة، نعني بها اللّغة والبلاغة والإيقاع مع إثبات صدق المقولة القاضية

وبالرغم من الاقرار بحقيقة صعوبة إخضاع تجربة شاعر ما إلى ترتيب تاريخيّ مضبوط يرتّب الانفعالات بإنتاجها ترتيبا زمنيا يحفظ لها قيمها التّراتبية، فإنّ من طبيعة الهاجس الشعريّ أن يمضي منتظما على سنن واحد، حتّى كأنّ الذات الشاعرة لا تشعب من نهم التّصوّر والتّخيل، كلّما استقرّت إلى حال أو رية قذف بها استيعابها إلى إشكال تخيليّ آخر يستكملها ويستوفيها، ولما كان ديدن إبداع الشّعْر متحمّنا عليه سلوك هذه المزية ، وتّباع هذا السّنن ألفينا الشّعراء ينتحلون المسوّغات البنائية التي تحاول تغطية ذلك التّفكّك الفكريّ الذي ينتج عن قلق الانتقال من هاجس شعريّ إلى هاجس آخر، فأنشأوا ملاءمة مع ذلك المطلب حروف العطف، وأدوات الرّبط، والاستئناف، واعتماد أساليب التّكرير والتّنميط، وترسيخ المحطات التعبيرية المتعلّقة باستغراق المواقف التّأمّلية وتستمرّ بلاغة كلّ صوب وفيّة لخصوصياتها الانفعالية ، إذ أنّ (.. قسطا كبيرا من الاستهواء الذي يتمتّع به تحليل المكوّنات ينبع من إمكانية تحديد مكوّنات عامّة شاملة كهذه في البنية المعجمية للّغات المختلفة ، وغالبا ما توصف هذه المكوّنات على أنّها مفاهيم ذريّة أساسية ، حسب المعنى الأساسي السائد في العرف الفلسفيّ).²

لقد خلط النّقاد كثيرا بين معيارين نقد الكتابة، ونقد القراءة حتّى غدا مع ذلك التّخليط يُخرج من حيّز اعتبار إلى الطّرف الآخر، فالنقد العربيّ كثيرا ما سعى إلى توريث الجهود الإبداعية في مطبّات نظريّة أحصاها العقل وعدّها وفق رؤياه ، ولكّنها سرعان ما تتلاشي آناء الممارسة الإبداعية ، وليس ذلك إلّا لكون اللحظة الإبداعية متفلّنة من كلّ حصر ، ومتأبّية عن كلّ تفصيل، فالعربيّ حين يطابق بإفادته مقتضى الحال، إنّما يحيل في أساس ذلك السلوك الفنيّ على أنّ البلاغة

حواشي الكلام¹⁰، والملاحظ أن هذه المقاربات الفنية الجمالية للشعرية اعتمدها كثير من البلاغيين العرب القدامي، وقد كان ابن سلام الجمحي قد اعتمد ذات التوصيفات الفنية حين وصف بعض الأشعار بها فقد ذكر: الأطراف شرطاً من شروط الشعرية¹¹، وقال عن شعر النابغة مستحسنًا ومستجيدًا: كأن شعره كلام¹² دلالة على سهولته وواقعيته من السائد الاجتماعي والثقافي، وإصابة الوصف التي نراها ونقدرها لا تتحقق إلا بالتقديرات الإيقاعية الصائبة للهاجس الشعري¹³ وفي شرط آخر إصابة الاختصاص في وصف بعينه¹⁴ مثلما هو الشأن لدى النابغة الجعدي، وإخلاص النابغة لمعايشة الشروط البيئية المهمة للإبداع الشعري¹⁵، ثم من تلك الشروط شدة أسر الكلام¹⁶، ويمكن للشروط الفنية المحققة للشعرية التي سردناها أن تستدعي ما يقومها ويكملها ومنها نعت ابن سلام شعر لبيد أنه كان برقة حواشي الكلام¹⁷، وهي التي نتفهمها على أنها جانب إيقاعي عزيز الحصول متصل بكيفيات توزيع الحسن للغة الخطاب الأدبي الفني، وقد قلنا بعموم الخطاب الأدبي الفني توسيعاً لمشروع الشعرية لا تضييقاً له.

تنزاح الشعرية العربية وربما شعرية الأمم الأخرى إلى صبغ لغوية وأساليب تعبيرية هي قد لا تتوافر على شروط القصيدة أو الخطاب الشعري إلا أن تلك النماذج الخطابية قميئة بأن تستحوذ على بعض شروط الشعرية.

وليس مستغرباً أن نجد مناقشة البدائل الشعرية وافرة في التراث النقدي الأدبي العربي القديم، إذ لما ثبتت علاماته ومظاهره ثبت الإقرار بتلك الحميمية بين كل كلام فني جميل وبين الشروط الشعرية الرسمية.

بكون "المعنى وظيفة السياق"⁶، لذلك فقد حاول البلاغيون العرب القدامى ربط هذه المؤثرات الانفعالية بالدلالات القلبية حين قالوا: "...الكلمة إذا خرجت من القلب بلغت إلى القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان"⁷.

وقد كان ابن المقفع يترىث ملياً في كتابة إلهامه فسئل عن ذلك فقال: إنَّ الكلام يزدحم في صدري فأقف قلبي لأتخير، لأنهم شعروا بأنَّ الامتياز البلاغي في الأدبية العربية هو نتيجة لما تجيش به صدورهم فتقذفه على ألسنتهم، فالتراسل الانفعالي بين الجوارح إذا كان منسجماً أفضى إلى إسباغ البهاء والرفقة وسلس الموقع على الكلام.⁸

لذلك فإن البنية اللغوية الشعرية تكون قد توطأت عليها أحاسيس الأعراب بالنزوع والتجريب فلما اطمأنت إلى صيغة أو أسلوب بعينه اعتمدها الحس الجمعي أو الجماعي وصيرها نموذجاً يقتدى، وواضح أن التشكيل أو كمّ التعبير يكون قد استقر على الكيفيات المؤثرة في نفيسة السامع أو المتلقي على العموم⁹، غير أن تبني التفكير التعليقي لنموذج القصيدة العربية بكل تفاصيلها وتقاليدها البلاغية وتخليفه عن السياق التجريبي للنماذج الشعرية الاحتمالية فذلك الذي أضرب بجوهر الإبداع الشعري.

لقد استتبع البلاغيون العرب ونقاد الأدب منهم جملة من الشروط الشعرية العامة التي نستطيع تبنيها لتوسيع مفهوم الشعر حيث ارتأوا ضرورة توافر الكلام الفني على: التشجعية التي هي التحريك أو التأثير، ثم التحزين فالحزن حال نفسية عاملة على تعميق الحس، تملك قلب السامع، تطويل الكلام على اعتدال، إمتاع السامع، توافر الكلام على عذوبة المستمع، ترقيق

السجية، الطلب العفوي أو النفسي للألفاظ واستمدادها الحرّ من منطقة اللاشعور، الامتياز الشكلي للخطاب .

والذي يتأمل شروط الانفعال بالكلام الفني المشاكل للشعرية والمجانس لها يستطيع أن يقف على مدى تلاؤم هذه الشروط النقدية الأدبية والبلاغية القديمة مع ما يشترط حداثة على ابتداء شعر التفعيلة أو الشعر الحرّ ، فالشاعر الذي يمتلك قدما راسخة في الشعرية يقوى بإخلاصه إلى صفاء الفطرة ونقاء الطبع وحصول العادة والتجريب أن يتوافر على شروط الشعرية، ولا نقول بالشاعرية إلا وقد رمينا بهذا التوصيف مطلق الشعر الشاعر والكلام الفاخر الذي يستطيع أن يتوارد على كل ذات مبدعة في كل زمان ومكان.

المستحب في الإبداع العربي القديم يستقي شروطه الفنية والجمالية وحتى المعرفية انطلاقاً من فلسفة مفعنة بحرية الانطباع وعفوية الارتجال ، لذلك فالشاعر ذاته قد تختلف أحواله وتتفاوت مستويات الإبداع لديه ضمن الخطاب الأدبي الواحد ، ولتعزيز هذه الرؤية فإنه ينبغي على الشاعر أو أي مديح للأدبية أن تتوافر قواه الإبداعية على فضل التصرف في إنشاء مقومات الخطاب الأدبي الفني ، وألاً ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصفىها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، بمعنى أن هذه الرؤية النقدية المحورية في التفكير النقدي الأدبي العربي القديم تقرّ بضرورة انفتاح المكونات الإبداعية للخطاب الأدبي على التفاوت القيمي ، فاللغة وكل المقومات الفنية أو التشكيلية عليها ألا تمضي على سَنَي واحد، وتتفق ضمن الأسلوب الموحد ، لذلك وحسب تقديرنا بعد استثمار مرونة هذا النظرة النقدية الأدبية فإن النظرية البلاغية العربية حافظت على

ونظراً لتحفز الذات القارئة أبداً للتجاوب مع العلامة المعرضة للقراءة فإن الحس البلاغي العربي يستفيض تبعاً لتلك الجاهزية ، حتى تغدو لغة الأصوات والحروف إلى جانب هذا الفعل بمثابة المنهج الموجه والمنظم والمعدل لشروط التفاعل مع المقروء، يستعملون وسيلة التنبؤ في التجاوب مع هذه الوضعيات المُسْقطة على الأثر القرائي (... وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص، فالدلالة التي هي في الموات كالدلالة التي في الحيوان الناطق ، فالصامت ناطق من جهة الدلالة...) ¹⁸ ، ولا تستوي شروط تعميم فائدة الدلالة المقول بها إلاّ بناء على جملة من الاستعدادات النفسية والانفعالية والمعرفية لخصها ابن جني في قوله: (... وليس شيء ممّا يضطرون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجها...) ¹⁹ ، يضاف إلى هذه الآراء المؤسسة لشيوخ الانفعال بالمقروء أو المتأول ، ويحسن بنا معاودة سرد أو استعراض بعض المناطات النقدية الواردة في موضوع الإخلاص لتقاليد الارتجال فقد قال الجاحظ موصفاً حال الانخراط العفوي في مجاذبة بلاغة القول (... فما هو إلاّ أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالا ، وتنثال الألفاظ انثيالاً ...) ²⁰ ، ويتناغم هذا مع شهادة نقدية أدبية تفيد ذات الفائدة التوصيفية لمدى نجاعة تحرير النفس وإرسال الخواطر في استدرار الغزارة اللفظية ، وتمكين قوى التنسيق والارتجال فليس أفضل من أن (... ترسل المعاني على سجيته، وتدعها تطلب لنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكنس إلاّ ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض إلاّ ما يزينها ...) ²¹ ، يوطد عرى التفكير النقدي الخادم لفكرة الارتجال وتحرير قوى الارتجال المرتكزات الاصطلاحية أو التعريفية التالية: إرسال المعاني على

احتمال التحولات الإبداعية التي ترسم آفاق الخطاب
الأدبي بانفتاحه على الغايات الإبداعية الطارئة.

المصادر والمراجع:

- ابن خلدون ، المقدمة ، دار نهضة مصر ، د.ت. مج:2.

- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج: 2 ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ط: 5 دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت لبنان 1981 .
- أبو الفتح عثمان الجاحظ، البيان والتبيين ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1968 ، ج: 1.
- جون لايتز، اللغة والمعنى و السياق، ترجمة : عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1981م .
- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ، 1991 .
- محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، مصر، 1998 .
- R. H. Robins: A Short history of Linguistics. Longman's Linguistics Library.- Green and Co LTD. Second impression 1969. P. 213

- ¹- الجاحظ (أبو الفتح عثمان) ، البيان والتبيين ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان 1968 ، ج:1 ، ص، 64 .
- ²- جون لايتز ، اللغة و المعنى و السياق ، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1981م ، ص:85.
- ³- ابن خلدون ، المقدمة ، مج:2، ص:1118 .
- ⁴- ينظر: عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص:121.
- ⁵- ينظر ، ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ج: 2 ، تحقيق: محمد معي الدين عبد الحميد ط:5 دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت لبنان 1981 ، ص:315
- ⁶- Green and Co LTD. Second impression 1969. P. ، R. H. Robins: A Short history of Linguistics. Longman's Linguistics Library- 213.
- ⁷- الجاحظ، البيان و التبيين ، ج، 1 ، ص 61.
- ⁸- ينظر ، المصدر نفسه ، ج:1 ، ص 83 .
- ⁹- ينظر ، ابن جني ، الخصائص ، ج:1 ، ص:27
- ¹⁰- ينظر ، ابن جني ، الخصائص ، ج:1 ، ص:27
- ¹¹- ينظر ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص:15
- ¹²- ينظر نفسه ، ص:17
- ¹³- ينظر ، نفسه ، ص:18
- ¹⁴- ينظر نفسه ، ص:27.
- ¹⁵- ينظر ، نفسه ، ص:27.
- ¹⁶- ينظر ، نفسه ، ص:29.
- ¹⁷- ينظر ، نفسه ، ص:29.
- ¹⁸- الجاحظ البيان والتبيين ، ج:1 ، ص:59.
- ¹⁹- الخصائص ، ج: 1 ، ص:53.
- ²⁰- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج:3 ، ص:50.
- ²¹- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص:10.